﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النّحل: 88]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ذِكرُ جَزاء الدّعاة إلى الكفر

بعد أن ذَكَرَ اللّهُ تعالى ما للمُشركين والكافرين مِنَ العذاب؛ أتبعَه ببيانِ العذابِ للدّعاة إلى الكفر والشّرك الّذين يمنعون النّاسَ مِن الإسلام، فقال سُبحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَصَدُّواْ﴾: أصلُ الصّادِ والدّالِ يدُلُّ على الإعراضِ والعُدولِ، فالصَّدُّ: الإعراضُ، يُقالُ: صَدَّ يَصُدُّ، وهو مَيلٌ إلى أحَدِ الجانِبَينِ[2]، وصَدَّهُ عَنِ الأمر يَصُدُّه صَدًّا: مَنَعَهُ وصَرَفَهُ عَنْهُ، قالَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النّمل: 43][3]، والصَّدّانِ: جانبا الوادي، الواحِدُ صَدٌّ، وهو القياسُ؛ لأنَّ الجانِبَ مائِلٌ لا مَحالَةَ[4]، والصَّديدُ: ما حال بين اللَّحم والجِلدِ من القَيحِ، وضُرِبَ مثلًا لِمطْعم أهلِ النّار، قال تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: 16 - 17][5]، والصَّدُّ: الهِجرانُ، والمقصودُ بالصَّدِّ في الآية: الإعراضُ عنِ السَّبيلِ المُوَصِّلَةِ إلى اللّهِ، أي: إلى الكَونِ في أوليائِهِ وحِزبِهِ[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 231.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صد).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (صدد).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صد).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (صدد).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 249.

2) ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: أصلُ السّين والباءِ واللّام: يدُلُّ على إرسالِ شيءٍ مِن عُلوٍّ إلى سُفلٍ، وكذلك على امتدادِ شيءٍ، فالأوَّلُ مِن قيلِكَ: أسبَلْتُ السِّترَ، وأسبَلَتِ السَّحابَةُ ماءَها وبِمائِها، وأمّا الثّاني فالمُمتَدُّ طولًا: السَّبيلُ وما وضَحَ مِنهُ، وهو الطَّريقُ؛ سُمّيَ بذلِكَ لامتدادِهِ[1]، يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، والتَّأنيثُ أغلَبُ، والسّابِلَةُ: هُمُ الَّذين يَسلُكون السُّبلَ، وسَبيلُ اللّهِ: طَريقُ الهُدى الَّذي دَعا إليهِ، وجمعُه: سُبُلٌ[2]، وكلُّ سَبيلٍ أُريدَ بِهِ اللّه تعالى وفيه برٌّ؛ فهو داخلٌ في سَبيل اللّه، والمقصودُ بسبيل اللّه في الآية: الشَّريعَةُ الّتي أنزَلَها اللّهُ تعالى لِعِبادِهِ الموصِلَةُ إلى طاعَتِهِ ومَرضاتِهِ.

3) ﴿فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾: أصلُ الفاءِ والواوِ والقافِ: يدُلُّ على عُلوٍّ[3]، وهو: نَقيضُ تَحتٍ، يكونُ اسمًا وظَرفًا[4]، ويُستعمَلُ في المكانِ، والزَّمانِ، والجسمِ، والعدَدِ، والمَنزِلةِ، وذلك أضربٌ، الأوَّل: باعتبار العلوِّ، نحو: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [البقرة: 63]، الثّاني: باعتبار الصُّعودِ والحدورِ، نحو قوله: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: 10]، الثّالث: يُقالُ في العددِ، نحو قوله: ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ﴾ [النّساء: 11]، الرّابع: في الكِبَرِ والصِّغَرِ، نحو: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: 26]، الخامس: باعتبار الفضيلةِ الدُّنيَويَّةِ، نحو: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزّخرف: 32]، السّادس: باعتبار القهرِ والغلبةِ، نحو قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18][5]، والمقصودُ بالفوقيَّةِ في الآية: فوقيَّةُ عُلوٍّ وشِدَّةٍ، والمرادُ بها: أن ينضمَّ إلى ما عليه الشَّيء في نفسِه شيءٌ آخر.

4) ﴿يُفْسِدُونَ﴾: أصلُ الفَساد: الخُروجُ عنِ الاعتدالِ[6]، يُقالُ: فسَدَ الكلامُ؛ أي: خَرَجَ عن حَدِّهِ، ويُقالُ: فسَدَ الشَّيء فسادًا وفسودًا، وأفسدَهُ غيرُه، وضِدُّه: الصَّلاحُ[7]، والفسادُ عامٌّ في الكُفر والضَّلال وكلّ ما هو ضارٌّ، والفَسادُ في الأرضِ تهييجُ الحروب والفِتَن؛ لأنَّ في ذلك فسادَ ما في الأرضِ، وانتفاءَ الاستقامةِ عن أحوال النّاسِ والزَّرعِ

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبل).
(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سِيده، المُحكم، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فوق).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (فوق).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (فوق).
(6) الرّاغب، المفردات، والزبيدي، تاج العروس: (فسد).
(7) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب: (فسد).

والمَنافِعِ الدّينيّةِ والدُّنيويَّةِ[1]، والمقصودُ بالفساد في الآية: السَّعيُ في أرض اللّهِ بما يكرهُه.

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

عِـقـابُ الـدَّعـوة إلـــى الـكُـفـر مُضاعَفٌ

بعد أن ذَكَرَ اللّهُ تعالى عذابَ المُضادّين؛ بيَّنَ عذابَ الضّالّين المُضلّينَ، فبيَّنَ أنَّ الَّذين كَفَروا وكَذَّبوا بالحقِّ لمّا جاءَهُم، وصَدّوا النّاسَ عن اتِّباعِ الإسلام؛ زادَهُم في النّارِ عذابًا على ما بهم مِنَ العذاب؛ لأنَّهم كانوا يُفسِدونَ في الأرضِ بصَدِّهم النّاسَ عن اتِّباعِ الحَقِّ، وفي هذه الآيةِ دليلٌ على تفاوُتِ العذابِ في دَركاتِه، كما يتفاوتُ المُؤمنون في مَنازِلِهم في الجنَّة ودَرجاتِهم[2].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

### علّةُ فصل الجملةِ عمّا قبلَها:

ذكرُ جزاء الكفرِ مثارُ سؤالٍ عن جزاء الدّعاةِ إليه

فُصِلَ قولُ اللّهِ جلّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عمّا قَبلَهُ؛ لكونِه استئنافًا بيانيًّا، فالآيةُ إجابةٌ عَن سؤالٍ نشأ عن ذِكرِ جزاء الكافرين والمُشركين قَبلُ، فكأنّه قيلَ: هذا جزاءُ الّذين أشركوا، فما جزاءُ الّذين كانوا يدعون إلى الكفر والشّرك، ويَمنعون النّاسَ عن سبيل الله تعالى؟ فجاء الجوابُ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا﴾[3]، فهو إخبارٌ مِنَ الله تعالى بأنّ الّذين كَفروا ومَنعوا غَيرَهُم مِنَ الدّخولِ في الدّين زادَهُم عذابًا، فيكون ضعفَ العذابِ الّذي استحقَّه الكافرون بكُفرِهم[4]، والمقصودُ من ذلك "تنبيهُ المُسلمين إلى كَيدِهم وإفسادِهم، والتَّعريضُ بالتَّحذيرِ مِنَ الوُقوع في شِراكِهم"[5].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فسد).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 330، 332، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 164، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 593، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 446.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 231.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 415.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 249.

### دلالةُ اسم الموصول:

الصَّدُّ عن سبيل الـلـه تـعـالى موجِبٌ لمُضاعفَةِ العَذابِ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ عنِ الكافرين بالاسم الموصول في قوله جلَّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دون أن يَرِدَ: (والكافرون الصّادّون)؛ وذلك إظهارًا لعلّة الحُكم المُعبَّرِ عنها بالصِّلَةِ، وهو أنّه زيدَ عذابُهم بسَبَبِ كُفرِهم مع صدِّهِمُ النّاسَ عن دين اللّهِ تعالى، فالمرادُ بالاسم الموصول مَن أظهروا الكفرَ والصّدَّ مِنَ الّذين لم يؤمنوا بالنّبيِّ ﷺ مِنَ المشركين ومِن أهل الكتاب.

### إيثارُ استعمال لفظ الكفرِ بعد ذِكْرِ الظُّلمِ والشِّركِ:

لـفـظُ (الـكـفـرِ) يـدخُـلُ فيه المُشركون وأهلُ الكتاب

آثرَ النّظمُ الكريمُ ذِكْرَ الكفر في قوله جلّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ بعد ذكرِ الشّركِ والظّلم في قوله تعالى آنفًا: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ شُرَكَآءَهُمْ﴾ [النّحل: 85 - 86]؛ لأنّ الكفرَ يشملُهم جميعًا، فهو "يشمَلُ الشّركَ باللّهِ بعبادة الأوثان، وأهلَ الكتاب الّذين لم يؤمنوا بمحمَّد ﷺ، وبعضَ مَن نسمّيهم أهلَ كتابٍ يدخلون في الشِّرك من بابه، وهُمُ الّذين يَعبدون المسيحَ، أو يقولون: إنَّه ابنُ اللّه، ويصفونَه بالرَّبِّ، ويعبدونَ روحَ القُدُس، ويقولون: اللّهُ ثالثُ ثلاثةٍ، فكلمة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يدخلُ في عمومها أهلُ الكتاب، كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ [البيّنة: 1]، وقد ذكرَ اللّهُ تعالى ذلك الوصفَ للمُشركين وأهلِ الكتاب؛ لأنَّ الصَّدَّ عن سبيل اللّهِ وقَعَ مِن المُشركين، ووَقَعَ من أهل الكتابِ في عصر تبليغِ الرِّسالة"[1].

### سِرُّ استعمال صيغة الماضي:

تـحـقُّـقُ الـكـفـرِ والـصّـدِّ عـن سبيل الله فيهم

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعل الماضي في قوله جلّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾؛ للدّلالة على أنّ الحديثَ مَسوقٌ عن قوم

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4245 - 4246.

بِعَيْنِهم، وأنّهم قد حقّقوا الكفرَ والصّدَّ عن سبيل الله تعالى، وأنّ ذلك فعلٌ مُنجَزٌ، فالوصفُ به يدُلُّ على رسوخ صاحبِهِ فيهِ.

### فائدةُ عطف جملة ﴿وَصَدُّواْ﴾ على ما قبلَها:

الصّدُّ والكفرُ شرطانِ لمضاعَفة العذاب

الجملةُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَصَدُّواْ﴾ معطوفةٌ على جملة ﴿كَفَرُواْ﴾؛ لاشتراكهما في الخبريَّةِ؛ إذ كلٌّ مِنَ الجملتينِ خبريَّةٌ، وبينهما مُناسبةٌ لفظيَّةٌ، وهي اشتراكُهما في الفِعليَّةِ والماضويَّةِ، وكونهما معًا في جملةِ صلةِ المَوصولِ، والجمع بينَهما يُبيّنُ أنّ استحقاقَ مُضاعفةِ العذابِ إنّما كان بسبب اجتماعِ الصَّدِّ والكُفرِ؛ أي: "الّذين جحدوا نبوّتَك وكذَّبوك فيما جئتَهم به من عِندِ ربِّك، وصدّوا عنِ الإيمان باللّه ورسوله مَن أرادَه؛ زِدناهُم عذابًا فوق عذابِهم الّذي يستحقّونَه بكفرِهم، بسبب استمرارِهم على الإفساد بالصَّدِّ عن سبيل اللّه"[1].

### فائدةُ تقييد الجارِّ والمجرور:

شناعةُ الصّدِّ تَظهرُ ببيان حُسنِ ما صُدَّ عنه

قَيَّدَ النّظمُ الجليلُ الصّدَّ بالجارِّ والمجرور المُضافِ إلى الاسمِ الأحسَنِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ لتخصيصه بأنّه كائنٌ لصدّ النّاسِ عن سبيل اللّه؛ تشنيعًا له، فهو ليسَ كأيِّ صدٍّ آخرَ، بل هو صدٌّ عنِ السّبيل الّذي يَجِبُ أن لا يُصَدَّ عنه، وفيه تمهيدٌ لذِكرِ الجزاءِ المُضاعَفِ بالإخبار عن زيادةِ العذاب، فتلك الزّيادةُ مُتحصِّلَةٌ بسببِ هذا الصّدِّ.

### بلاغةُ الالتفات مِنَ الغَيبة إلى التَّكلُّم:

زيادةُ العذاب صادرةٌ عنِ المَلِك العظيم

التفَتَ النّظمُ الجليلُ مِنَ الغَيبة الّتي يقتضيها الاسمُ الظّاهرُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى التَّكلُّم الّذي يدُلُّ عليه ضميرُ العظمةِ في قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ﴾؛ تهويلًا لشأن الزّيادة في العذاب،

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 14/ 127.

فهي زيادةٌ كائِنةٌ بِما للّه تعالى من عظمَةٍ، ولو جاءَ النَّظمُ القرآنيُّ: (زادَهُم عذابًا) لكانَ إخبارًا مُجرَّدًا عن تلكَ الزّيادةِ مِن غيرِ ذلكَ التّهويلِ والتّعظيمِ.

### دلالةُ الإخبارِ عن زيادة العذابِ للكافرين:

الغلوُّ في الكفر يُقابِلُهُ مزيدٌ منَ النّكال

أخبرَ النّظمُ الجليلُ بأنّ اللّهَ تعالى يزيدُ الكافرين عذابًا في قوله جلّ شأنُه: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾، فما العلّةُ في هذا العذاب المزيد فيه؟ والجواب عن ذلك: أنّ هذه الجملةَ تُعَدُّ من فرائد أساليبِ القرآنِ الكريم؛ حيث إنّها لم تَرِدْ إلّا في هذا المَوطِنِ، والعلّةُ في هذا العذابِ المُضاعَفِ هو كفرُهُم وصدُّهُم عن سبيل اللّه وإفسادُهم، ونحوُه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [هود: 19 - 20]، فالإخبارُ عن زيادة العذابِ مُناسِبةٌ لِما بيّنتهُ الآيةُ من عظيم كُفرِهم وشديدِ غيّهم، فهُم كفروا في أنفُسِهم، ثمّ حَمَلوا غيرَهم على الكفر، فمَنْ كان هذا وصفَهُ يُضاعَفْ عقابُهُ، كما ضاعفَ كفرَهُ بدعوةِ غيرِهِ وصدّهِ عَن الإيمان[1].

### سِرُّ تنكير ﴿عَذَابًا﴾ أوّلًا، ثمّ تعريفها ثانيًا:

عـــذابُ دعـاة الكُفرِ مَجهولٌ غـيرُ مـعـهـودٍ كما عُهد عذاب الكافرين

أوردَ النّظمُ الجليلُ لفظَ العذابِ مرّتين في الجملةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾، فجاء في الأولى نكرةً، وفي الثّانية مَعرِفَةً، وهو تعريفُ جِنسٍ مَعهودٍ؛ إذ قد تقدَّمَ ذِكرُه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النّحل: 85]؛ وإنّما صار العذابُ مَعهودًا؛ لأنّه قد كثُرَ الحديثُ عنه في آي الذّكر الحكيم، وأمّا تنكيرُ لفظة العذابِ الأولى فإنّها سيقَت لبيان عذابِ الّذين كفروا وصدّوا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 627.

النّاسَ، فإنّ عذابَ هؤلاء لا يخطُرُ بالبال، فهو مَجهولٌ غيرُ مُتقدِّم الذِّكرِ، فناسَبَهُ التّنكيرُ[1]، وهذا التّنكيرُ يُناسِبُ الزّيادةَ المذكورةَ مع (نا) الدّالَّةِ على العَظَمَةِ في: ﴿زِدْنَٰهُمْ﴾، فكان التَّنكيرُ لإرادَةِ التَّفخيم والتَّعظيم.

### دلالةُ حرف الجرِّ (الباء):

بيانُ سببِ زيادةِ العذابِ يَنفي ظُلمَ اللهِ تعالى لهم

أدخلَ النّظمُ الجليلُ حرفَ الجرِّ (الباء) الدّالّ على السّببيّة في قولهِ جلَّ شأنُه: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّ زيادةَ العذابِ حاصلةٌ بسبَبِ استمرارِهم على الإفسادِ، وهو الصّدُّ المذكورُ[2]، وفي بيانِ علّةِ زيادةِ عذابِهم لِنَفي إرادة ظُلمِهم، أو ظنّ قَصدِهم بسوء العذاب، فأشارَ بذلكَ إلى استِحقاقِهم ما كوفِئوا به مِنَ الزّيادَةِ.

### دلالةُ التّعبيرِ بالمصدرِ المؤوَّلِ دونَ المَصدرِ الصَّريح:

اتِّصافُهم بالإفسادِ اتّصافًا راسِخًا لا يفارقونه

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالمَصدرِ المُؤوّلِ من (ما) المَصدريّةِ والفعل في قولهِ جلَّ شأنُه: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾، ولم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (بإفسادِهم)، أو (بكونِهم مُفسِدين)؛ لِما في المصدرِ المُؤوَّلِ من دلالةٍ على الزّمن مُتحصِّلةٍ مِنَ الفعل، فالتّعبيرُ به دالٌّ على كونِهم أحدثوا الإفسادَ، وأصرّوا عليه، وباتوا راسخينَ فيهِ.

### فائدةُ التّعبير بفِعلِ الكَونِ:

إحداثُهم الإفسادَ مُتعلِّقٌ بهم تعلُّقًا وجوديًّا

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ بفعل الكون في الإخبار عن علّة زيادةِ عذابِهم في قوله جلّ شأنُه: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾؛ للدّلالة على رُسوخِهم بذلك الإفسادِ، فهو إفسادٌ مَغروسٌ في طبائعِهم، بيانًا لشدّة الإفسادِ وتَماديهم فيه وإصرارِهم عليه،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 249.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 135.

والّذي بِهِ استحقّوا تلكَ الزّيادةَ في العذابِ، فإفسادُهُم وُجِدَ فيهِم منذُ أن وُجدوا في هذه الحياة، لم ينفكّوا عنه، بل تمادوا وصاروا فيهِ راسخينَ.

### إيثارُ التّعبير بلفظ الفسادِ دونَ الكُفرِ في فاصلةِ الآيةِ:

الإفسادُ مِن أعظَمِ أسبابِ مُضاعَفةِ العَذابِ

صاغَ النّظمُ البليغُ الفاصلةَ مِنَ الإفساد دون الكفرِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ دون أن يَرِدَ النَّظمُ القرآنيُّ: (بما كانوا يكفرون)؛ لبيان أنّ الصّدَّ عن سبيل الله تعالى إفسادٌ، فاستحقّوا الزّيادةَ في العذاب "بكونهم مُفسِدين النّاس بصدِّهم عَن سبيلِ اللّه"[1]، فاستِحقاقُهُم تلك الزّيادةَ المُخبَر عَنها ليسَ بِمُجَرَّدِ كونهم كافرين، بل لأنّهم أفسدوا النّاسَ، فالعبارةُ قائمةٌ مَقامَ التَّعليل للزّيادَةِ، وهي كائِنَةٌ بسببِ الإفسادِ، فكانَ مِن حُسنِ البلاغةِ أن تكونَ الفاصلَةُ كذَلِكَ.

### دلالةُ استعمالِ صيغَةِ المُضارع:

منهجُ الكافرينَ إفسادٌ دائمٌ لا ينقطعُ

آثرَ النّظمُ الجليلُ التّعبيرَ بالفعل المضارع ﴿يُفْسِدُونَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّهم كانوا يوقِعون الفسادَ في كلّ وقتٍ ويُجدِّدونه[2]، وذلك يدُلُّ على إصرارِهم على الفساد، وأنّه مَنهَجُهم ودَيدَنُهم، لا ينفكّون عنهُ.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### الصَّدُّ والمَنعُ:

المَنعُ أعمُّ مِنَ الصَّدِّ

قال أبو هلال: "الصَّدُّ هوَ المَنعُ عَن قَصدِ الشّيء خاصَّةً؛ ولهذا قالَ اللّهُ تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: 34]؛ أي: يمنَعونَ النّاسَ عَن قَصدِه، والمَنعُ يكونُ في ذَلِك وغَيره؛ ألا ترى أنّه يُقالُ: مَنَعَ الحائِطَ عَنِ المَيلِ، ولا يُقالُ: صدَّهُ عنِ الميل؛ لأنّ الحائطَ لا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 627.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 232.

قصدَ لَهُ"[1]، وبهذا فالصّدُّ أخصُّ مِنَ المَنعِ، فهو مَنعٌ عن بلوغِ الغايةِ والقَصدِ، وقد آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالصّدِّ؛ لأنّه مُتعلِّقٌ بمنع النّاسِ أن يقصدوا دينَ اللّهِ تعالى.

### السّبيل والطّريق:

السَّبيلُ يَقتَضي سُهولَةً، بخلافِ الطَّريق فإنَّهُ لا يَقتَضيها

السّبيلُ: طريقٌ فيه سهولةٌ، وجمعُه سُبُلٌ، ويُستعمَلُ لكلِّ ما يُتَوصَّلُ به إلى شيءٍ آخرَ، خيرًا كان أم شرًّا، قال: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النّحل: 125][2]؛ فلمّا كان السّبيلُ يُطلَقُ على كُلِّ ما يُتَوَصَّلُ به أُطلِقَ على الأعمال الّتي تكونُ موصِلَةً للّه تعالى، كالدّعوة والقتالِ وغيرهما، وأغلبُ استعمالِهِ في الخير، وأمّا الطّريقُ فلا يَقتَضي السّهولة، ولا يكاد يُرادُ به الخيرُ إلّا مُقترنًا بوصفٍ أو إضافةٍ تُخَلِّصه لذلك، كقوله تعالى: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠﴾ [الأحقاف: 30][3].

### الفوقيَّةُ والعُلوُّ:

الفوقيّةُ تَقتَضي انفِصالًا، والعلوُّ يَقتَضي اتِّصالًا

"إنّ أعلَى الشَّيءِ مِنهُ، يُقالُ: هو أعلَى النَّخلَةِ، يُرادُ أنّه في نِهايَة قامتِها، وتقولُ: السَّماءُ فوقَ الأرضِ، فلا يَقتَضي ذَلِك أن تكونَ السَّماءُ مِنَ الأرض و(أعلَى) يَقتَضي أسفَل، وفَوق يَقتَضي تَحت، أَسفَلُ الشَّيءِ مِنهُ، وتَحته ليسَ مِنهُ؛ أَلا ترى أنّه يُقالُ: وَضعتُه تَحت الكوز، ولا يُقالُ: وَضعتُه أَسفَل الكوز، بهذا المَعنى، ويُقالُ: أسفَل البِئر، ولا يُقالُ: تَحت البِئر"[4].

وفي الآيةِ عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ بالفوقيّة للدّلالة على أنّ العذابَ المُضافَ مُنفصِلٌ عنِ العذاب الأوّلِ، وذلك للمُبالغة في تعذيبِهِم؛ لأنَّ الفوقَ مُنفَصِلٌ عمّا تحتَهُ، والأعلى جُزءٌ منه.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 114.
(2) الرّاغب، المفردات: (سبل).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 313.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 185.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»